

## الإسلام والحضارة العربية

في شرق أفريقيا

دكتور عبد الرحمن زكي

### الوجود العربي في ساحل شرق أفريقيا

جاء العرب إلى ساحل شرق أفريقيا في هجرات متتابة متباعدة نفس الطرق الملاحية التجارية التي سلكها العرب وغيرهم في المحيط الهندي وبحر العرب منذ أقدم العصور ، وترجع هذه الهجرات إلى أسباب شتى ، منها الاقتصادي والسياسي والديني ، ويمكن العلماء بواسطة القصص المحلية ومن أطلال المدن القديمة المتناثرة ، ومن الآثار التي كشفت النقاب عنها — أن يقفوا على معالم الحضارة العربية أو الفارسية التي ازدهرت في هذا الساحل ، وقد كان لما سجله الجغرافيون والرحالة العرب في العصور الوسيطة أهمية في تحقيق ما كانت عليه تلك المدن العربية .

وهكذا استطعنا أن نكتب تاريخ تلك البلاد وتعرف على مجتمعاتها ، وسنتناول بإيجاز الكلام عن تلك الهجرات العربية التي كان لها الفضل في قيام الإمارات والدول العربية حتى وقعت فريسة الغزو الاستعماري تحت سطوة البرتغاليين أو من جاءوا بعدهم من الإيطاليين أو الألمان أو البريطانيين .

## الهجرات العربية

(١) هجرة سليمان وسعيد (بين ٦٩٦ و ٧٠٤ م) :

يقال أنه سبقتها هجرة لم تصلنا أنباء مفصلة عنها . وكانت هذه هي الهجرة الثانية ، وتعتبر أول استيطان عربي وصلنا عنه بعض المعلومات في أوائل القرن الثامن في أثناء حكم الخليفة عبد الملك بن مروان ( ٦٨٥ - ٧٠٥ م ) . فقد نهض شعب عمان وموطنه الأصلي عند الشاطئ الخليج العربي الفارسي تحت زعامة زعيمين هما سليمان وسعيد بثورة ضد الخليفة وقد فاز الثائرون في بداية الأمر ثم تغلبت عليهم قوات الحجاج في عمان ( ٦٩٥ م ) واضطر سعيد وسليمان إلى الفرار للخلاص بحياة رجالهم تاركين وطنهم وهاموا في جموع من أمراتهم وقيادتهم مولين وجوهم شطر الساحل الأفريقي ولا يعلم تماما أين نزلوا على البر ، ويحتمل أن يكونوا نزلوا في يانا في أرخبيل لامو .

(٢) هجرة الزيديين (قراية ٧٥٠ - ٧٦٠ م) :

وفرت الجماعة الثانية من مهاجري العرب أثر نشوب نضال بين الشيعة وكان ذلك في بداية القرن الثامن عندما انشقت صفوف الشيعة إلى طائفتين متخاصمتين ، وقد كان على رأس الطائفة الأولى زيد أكبر أحفاد الإمام علي زوج بنت الرسول ، وأطلق على هذه الجماعة أهل زيد . وقد هزم رجال الخليفة تلك الجماعة في عام ٧٢٩ - ٧٤٠ وقتل زيد واضطر أتباعه إلى الفرار وجاء بعضهم إلى ساحل شرق أفريقيا ، حينئذ استقروا عند ساحل بنادر (الصومال الشرقي) بالقرب من موقع مقديشو عند شنجايا .

( ٣ ) هجرة الأخوة السبعة من الإحساء ( بعد ٩٠٣/٩٠٤ بقليل ) :

وفي خلال المائتي سنة تمكن أتباع زيد أن يسيطروا على ساحل بنادر حتى وصلت طوائف أخرى من ولاية الإحساء في شرق الجزيرة العربية وكان على رأسهم سبعة إخوان جاءوا في ثلاثة سفن ونزلوا عند شاطئ بنادر حيث شيدوا مدينتي مقديشو وبروة ( ٨٠٩ ) ورفض أتباع زيد الاعتراف بسيادة هؤلاء وفضلوا الانسحاب إلى قلب البلاد واختلطوا بالآهالي .

( ٤ ) هجرة حسن بن علي وأبناؤه الستة ( قرابة ٩٧٥ م ) :

يتلخص تاريخ حسن بن علي الذي جاء إلى الساحل الأفريقي يصحبه أبناؤه وعدد كبير من أتباعه ، أنه كما قيل كان ابن سلطان شيراز في فارس أو أنه كان السلطان ذاته ولا تعلم الأسباب التي أدت به إلى مغادرة شيراز في عام ٩٧٥ م . وصلوا في سبع سفن متواليات ونزلوا في عدة أماكن على الشاطئ الشرقي . واحدة منها في منبسة ، وثانية في يمبا ، وثالثة في كلوه ، وهي التي كان عليها حسن بن علي ، ورابعة في جوهانا . والمعروف أن علي بن الحسن هو الذي استوطن كلوه وأقام فيها المدينة الإسلامية وخضع مافيا له .

وعلى أثر وصول تلك الجماعات بدأ الآهالي من الإفريقيين يدخلون تدريجاً في الإسلام . ثم استوطن العرب إقليم سفالة جنوبي موزمبيق بين عامي ٩١٠ و ١٢٢٠ م ، كما انتشر هؤلاء في جزيرة مدغشقر لاسيما في الشمال الشرقي والجنوب الغربي وتكون من الإفريقيين والعرب والملايو سكان مدغشقر الجنس الملجاشي ، وعلى مر الأيام أوغل عرب الشاطئ الأفريقي في أنحاء المناطق القريبة والمحاذية للساحل وشقوا سبيلهم شمالاً إلى الحبشة

وللى أوغندا وتنجانيقا وللى نياسالند ومن المدن الللى شلدها العرب على السائل الشرقى : مالندة ومنبسة وزنجبار وكوه وسفالة وغيرها من المسوطنات الصغيرة .

( ٥ ) عزوة آل النبهانى ( قرابة ١٢٠٣ م ) :

وفى فجر القرن الثالث عشر ، قام من عمان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهانى على رأس أتباعه الكثيرين وقصدوا جزيرة پاتانم تزوج من ابنة زعيم سواحل اسمه لاسحق حاكم پاتانم ، ومن ثم آلت إليه السلطنة فأسس الأسرة النبهانية الللى تولت حكم شطر كبير من الساحل الأفريقى حتى القرن التاسع عشر .

وهكذا نرى أنه فى المدة الللى توسطت وصول حسن بن على ( قرابة ٩٧٥ ) ووصول البرتغاليين عام ١٤٩٨ وهى قرابة خمسمائة سنة أطلق على هذا الساحل الذى تناثرت فيه المدن والمسوطنات الإسلامية بلاد الزنج وقد ازدهرت فى أثناء تلك الحقبة دويلات من أصل عربى أو فارسى ونشأت أيضا سلطنات وكان لدولة كلوه الشيرازية العربية السيادة على بعض الدويلات الساحلية الأخرى وفى خلال تلك المدة ازدهرت تجارة العاج والذهب والدقيق بين الشاطئ الأفريقى وآسيا ثم اتسعت المدن الللى اقتبست الطابع العربى ، وبلغت مستوى راقيا فى الحضارة ويشهد بذلك ما سجله العرب والبرتغاليون وغيرهم فى مؤلفاتهم .

## الطابع العربى

لمدن الساحل الشرقى الأفريق

سنحدث فى الصفحات التالية عن الطابع العربى الذى يسود بعض مدن ساحل شرق أفريقيا ، لاسمى الآثار الدينية والمدنية الللى يرجع تاريخ أقدمها

إلى القرن الثالث عشر الميلادي وأحدثها إلى القرن الثامن عشر. تتناثر تلك الآثار فيما بين مضيق باب المندب المواجه لليمن الجنوبية ، ونهر لمبوبو في الجنوب ، وبالإضافة سيشمل هذا المقال - الآثار الإسلامية الباقية في جزر بمبا وزنجبار والقمر وملجاشي (مدغشقر) . وقد تأثرت حضارة هذا الشاطئ ( ثلثاه من الشمال ) بحضارات أقرب البلاد إليه المطلة على بحر العرب والمحيط الهندي وأهمها شبه الجزيرة العربية والخليج العربي وجنوب فارس وغرب الهند وجزر الأرخيبيل الإندونيسى خلال الألفى سنة الأخيرة. ومع ذلك فلم يتم بعد أى تنقيب على نطاق كبير أدى إلى العثور على أطلال تعود إلى أيام ما قبل الحضارة العربية أو الإسلامية . ويمكن أن نقول ذلك أيضا عن مخلفات الحضارة الإندونيسية باستثناء ما خلفته في لغات بعض قبائل مدغشقر . والحقيقة الأولى التى ينبغى أن نضعها فى اعتبارنا فيما يتعلق بتاريخ تلك الآثار الإسلامية فيما بين مضيق باب المندب وملجاشي ، هى أن أقدم أثر هو ذلك النقش الكتابي القائم في جامع كيزمكازي ( Kizimkazi ) في زنجبار الذى يرجع تاريخه إلى عام ٥٠٠ هـ ( ١١٠٧ م ) وقد أعيد تثبيت تلك اللوحة التاريخية لما أعيد بناء المسجد من جديد في القرن الثامن عشر . ويمكن القول بأن القصر المعروف باسم حصون كبوا ( Husuni Kubwa ) ، والمبنى الذى يجاوره المعروف باسم حصون ندجور ( Husuni Ndogo ) اللذان قام بالتنقيب عنهما عالم الآثار نفيل تشيتيك ( Neville Chittic ) بأنهما يرجع تاريخهما أيضا إلى القرن الثاني عشر .

أيدت الأبحاث التاريخية وبعض التنقيبات الأثرية القليلة التى أجريت عند مواقع تلك الآثار أن بنائى غالبية هذه المباني كانوا من المهاجرين الآسيويين من عرب وشيرازيين من استوطنوا الشريط الساحلى الأفريقى منذ القرن الثامن الميلادي أو سلالتهم وهم ثمرة استيطان هؤلاء بعد تزواجهم

واختلاطهم بالأسرات الأفريقية . لكن بما لاشك فيه أن هؤلاء العرب أو الشيرازيين الذين قدموا إلى الساحل في هجرات سابقة منذ القرن الثامن هم الذين شيدوا مقديشو أولى المستوطنات العربية في القرن التاسع ، وبراوة التي أسسها رجال هجرة الأخوة السبعة الذين قدموا من الأحساء في القرن التاسع أيضاً ، ومدينة لامو ( Lamu ) أقدم الإمارات الإسلامية ، ومدينة بات ( Pate ) في أوائل القرن العاشر ، وما لندى ( Malindi ) القديمة في القرن العاشر ، ومدينة مباسا ( Mombasa ) وليدة القرن العاشر أيضاً ، مدينة كلوة ( Kilwa ) التي بناها رجال الهجرة الرابعة تحت زعامة حسن ابن علي وأبنائه الستة الذين قدموا من شيراز إلى الساحل الأفريقي قرابة عام ٩٧٥م أو عقب ذلك ، ومدينة سفالة ( Sofala ) في أوائل القرن الحادي عشر ، وزنجبار القديمة ، وغيرها من المنازل والمستوطنات العربية .

وبما ينبغي أن نضعه في اعتبارنا بخصوص الذين بنوا تلك المدن العربية أو ما أقاموه فيها من الآثار سواء ما بقى منها أو ما أصبح أطلالا ، أنهم كانوا هؤلاء القادمين إلى الساحل ممن اتخذوه موطناً لهم . وليس بناتهما من الأفريقيين الذين لم تكن لهم في ذلك الحين معرفة بأصول البناء بالحجر حينما قدم هؤلاء الآسيويون . نعم ، لم يكن لهم باع يذكر في أصول البناء وللمهارة وما تتطلبه هذه الصناعة المتقدمة من تخطيط دقيق وأعمال بناء وحرف أخرى . والمعروف أن الآسيويين هم الذين جلبوا إلى هذا الساحل - الدين الإسلامي واللغة العربية وحضارة العرب ، وجلبوا معهم أساليب الزراعة المتقدمة ، فأدخلوا إليه أنواعاً شتى من النباتات كقصب السكر والقمح والقرنفل والبصل والقرع والموز ، وربما شجر النخيل ، وكذلك جلبوا معهم فصائل شتى من الحيوان المستأنس كالماعز والغنم والحمام الأنيس والذور ذى الصنام .

وبلاحظ عامة ندرة الآثار الإسلامية التي ترجع إلى ما قبل القرن الرابع

عشر . تلك التي تتسم ببساطة في التصميم والأسلوب البنائي غير المعقد . كما يلاحظ أيضاً أن أكثر ما بقي من تلك المباني ، هو المساجد الكبرى ، وأقدمها : جامع كلوة الكبير الذي ينسب إلى القرن الخامس عشر ، وربما يعتبر مسجد نجر الدين بمقديشو أقدم من جامع كلوة .

وقبل أن نأتى بثبت ( List ) هذه الآثار الإسلامية الأسبوية الأصل ، ينبغي أن نذكر أسماء بعض العلماء الأجلاء الذين أسهموا في التنقيب عن بعض آثار الساحل الشرقي الأفريقي وهم : نيفيل تشيتك « وجيرفيس ماثيو » ، وفريمان جرنيل ، وجيمس كيركان ، و « جراي » ، وألورا روبنسون . كما ينبغي أن نعترف بفضل الرحالة العربي ابن بطوطة الذي زار معظم مدن هذا الساحل في أوائل القرن الرابع عشر وسجل لنا مشاهداته المفيدة .

فبعد أن زار ابن بطوطة أثناء رحلته المشهورة عدن قرابة عام ١٣٣٢ م قصد زيلع شمال الصومال ، فبات في السفينة ليلة واحدة ثم غادرها إلى مقديشو عند وصوله إليها رحب به شيخ المدينة ، وكان اسمه أبو بكر بن الشيخ عمر . وكان رحالته قد لاحظ أن الواحد من أهل مقديشو يأكل قدر ما تأكله الجماعة من عادة ، وهم في نهاية من ضخامة الجسوم وسمنها . ثم قصد الرحالة جزيرة منبسة ، فقال عن أهلها أنهم شافعية المذهب ، أهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم من الخشب محكمة الإتقان . وبعد مبيت ليلة فيها غادرها إلى مدينة كلوة وقد بهرت ابن بطوطة عظمتها ، فكتب عنها : « وهي مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزوج المستحكمو السواد ، ولهم شرطان في وجوههم ، ومدينة كلوة من أحسن المدن وأتقنها عمارة وكلها بالخشب ، والأمطار بها كثيرة ، وأهلها أهل جهاد والغالب عليم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب . وكان سلطان كلوة على زمان ابن بطوطة أبو المظفر الحسن وقد تكلم عنه كثيراً .

## الآثار الإسلامية في صوماليا

ولنتحدث عن أهم الآثار الإسلامية الباقية في الصومال ، فأول ما يقابلنا منها في مقديشو منارة الجامع الكبير الأسطوانية الشكل وقد بدى في بناء الجامع في أول المحرم عام ٦٣٦ هـ . ( ١٤ أغسطس ١٢٣٨ ) ويؤيد صحة هذا التاريخ تلك الكتابة التاريخية المنقوشة بخط النسخ والمثبتة فوق أحد أبواب الجامع القديم الذى اندثر وشيد فوق مكانه المسجد الحالى فى القرن التاسع عشر . وفى مقديشو مسجدان قديمان . مسجد نجر الدين ، ومسجد أربع الركن . وفى المسجد الأول قبة تحتوى على لوحة من الرخام تحيط بها كتابة باسم الحاج ابن محمد بن عبد الله (من المحتمل أن يكون اسم الصانع الذى صنعها) ، وتاريخ الصنع وهو نهاية شعبان ٦٦٧ هـ ( ٢٧ أبريل - ٦ مايو ١٢٩٦ ) . وينسب بناء هذا المسجد إلى أول سلاطين مقديشو أبو بكر بن نجر الدين ، وتطل واجهة المسجد الرئيسية تجاه الشرق وله ثلاثة أبواب وعلى أعقابها ثلاثة نقوش واضحة ، وعلى مقربة من هذا المسجد يقوم مسجد أربع الركن ، وقد نقش على محرابه كتابة باسم مشيده « خسرو بن محمد الشيرازى » ، والتاريخ الهجرى ٦٦٧ هـ ( ١٢٦٨ / ٦٩ ) . وهناك مساجد أخرى أحدث عهدا بالإضافة إلى ما شيد حديثا .

## آثار مدينة مركا ( Merca )

تقع مركا جنوب مقديشو . والجزء القديم منها عبارة عن أطلال يقوم فيه الجامع الكبير ويوجد حول المحراب كتابة منقوشة تشمل تاريخ عام ١٠١٨ هـ ( ١٦٠٩ ) . ويبدو أن الجامع شيد بعد هذا التاريخ . ومسجد الشيخ عثمان وبه تاريخ منقوش يقرأ لعام ١٥٦٠ . والجدير بالذكر أن مركا مدينة قديمة ذكرها الجعرافيون : الادريسي وابن سعيد وياقوت . والمدينة اليوم - لا تحتوى على أثر ما يرجع إلى القرنين الثانى عشر أو الثالث عشر .



## آثار مدينة براوة (Barawa)

تقوم براوة جنوب مقديشو وشمال نهر جوبا ولم يذكرها واحد من جغرافيين العرب ، وتتفق معظم المراجع على أن الذين شيّدوها كانوا الأخوة السبعة الذين قدموا من الأحساء بعد عام ٩٠٤ هـ بقليل . ويوجد في جامعها الكبير نقش كتابي تاريخه القرن التاسع الهجري ( ١٥٠ م ) ، وهناك جامع آخر ينسب إلى القرن الثاني عشر الميلادي . والمعروف عن سكان براوة أنهم قاوموا ببطولة الغزاة البرتغاليين لاسيما في الرحلة التي يطل عليها الجامع . وهناك عدد من الصور التي تتميز بأعمدة مديّة الشكل تقريبا . ويقابلنا في راسيني ( Rasini ) أجمل محراب وذلك في جامعها وهو قريب الشكل بمحراب منجاني ( Mangan ) بالقرب من جيدي ( Gedi ) . ولم تجر فيها تنقييات ويحتمل أن يعثر فيها على بيان ترجع إلى ما قبل القرن الرابع عشر .

## الآثار الإسلامية في ساحل كينيا

إن أهم ما في أرخبيل لامو ( Lamu ) ، بات ( Pata ) ، فهي أكبر الجزر ومنها ثلاثة مدن رئيسية : بات وفازة وسيو ( Siyu ) . وقد استقر حكم بات في أسرة النبهاني من عام ١١٥٤ إلى عام ١٤٠٦ ولقد فقدت المدينة العظمى مكاتها المجيدة منذ قرون ، فهدم سورها وجامعها القديم وبني آخر في مكانه وآلت أهميتها إلى منافستها فازة التي عرفها البرتغاليون باسم أمبازة ( Ampaza ) وأهم آثارها أطلال مسجدين قديمين ، أولهما بوانا شالي فتاني ، وفيه محراب رائع ، وثانيهما مسجد مويني نجومبي ، ويمتاز أيضا بشكله اللطيف ، ويرجع تاريخ إنشائهما إلى القرنين ١٨ و ١٩ . ويقوم في تندوا ( Tandwa ) أطلال مسجد ، ومثله في تكوا ( Tkowa ) . كما أن هناك أطلال جامع كبير في ماندا ( Manda ) وأطلال مسجد صغير .

## لامو

ليس في لامو أية آثار قديمة وتقع المدينة على عرض ٢ جنوب خط الاستواء وعلى الجانب الشرقي من الجزيرة التي تحمل الاسم نفسه ، ونظرا لانفصالها عن جسم القارة الأفريقية فهي تأمن الخطر من هجوم القبائل التي سببت دمار المدن الساحلية أكثر من مرة فيما قبل وهي كذلك بعيدة عن خطر الأمواج المحيط . ولامو عريية الطابع ، فشوارعها ضيقة وتبوتها عالية الجدران وليس لها نوافذ خارجية ويدخلها الضوء عن طريق أفنية داخلية . ويسكن لامو قرابة سبعة آلاف نسمة ثلثهم من أصل عربي ومعظمهم من عمان<sup>(١)</sup> وحضرموت . وهم ما يزلون يحتفظون بأسماء أسراتهم العربية كالعماوي والعلاوي والخطيب والجهاضحي وجميعهم مسلمون ومعظمهم يتبعون المذهب الشافعي ، وفي المدينة أقلية إباضية وجميعهم حريصون على إداء فروض الدين . وفي لامو على صفرها أربعة وعشرون مسجداً ومعظمها في حالة صالحة للاستعمال وفي بعضها مدارس ملحقة بها يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة العربية والسواحلية وأصول الإسلام والتاريخ العربي والنحو والتدريس فيها بالجمان<sup>(٢)</sup> .

وفي لامو كلية دينية إسلامية يتوافد إليها التلاميذ من أرجاء ساحل شرق أفريقيا وتتراوح فيها مدة الدراسة بين عامين وخمس أعوام ، ومؤسس الكلية الحبيب صالح جمال الليل وفد إلى لامو في عام ١٩٢٨ من جزائر القمر وصار له أثر فعال في الحياة الثقافية في لامو .

وفي جنوب لامو تقوم أنجوانا (Unguona) وهي بلدة ساحلية من أروع مدن الاطلال على الساحل الشرقي ، وتغطي هذه الاطلال مساحة خمسين فدانا وعليها جامعان كبيران ومساجد صغرى شتى ، يحتوي واحد

منها على محراب جميل وفيها بعض الدور الخاصة وصور وعدة قبور . وقد  
أمكن إزالة أنقاض الجامعين فظهرت ملاحمها . وفي موانا (muana) جامع  
كبير يبدو أنه كان رائع البنيان ، ومسجد آخر صغير .

وفي مالندي (malindi) وتقع على ساحل كينيا عدة قبور ذات عمد  
التي يمتاز بها ساحل شرق أفريقيا وربما كان الشيعة الأول هم الذين جاءوا  
بهذا الطراز إلى الساحل منذ القرن التاسع عشر أو بعده . وأقدم هذه القبور  
ذات العمدة في جزيرة كليبو (Kilepoa) وربما شيدت في القرن الرابع عشر.  
وهذا العمود مضمن الأضلاع وليس مستديراً كالعمد الأخرى . والمعروف  
أن علي بن حسن وأبنائه الستة حينما قدموا على سفنهم إلى الشاطئ الشرقي  
خربوا بلدة مالندي ثم شيدوا مالندي الجديدة في مكان يقع بالقرب من  
المدينة التي أحرقوها ، وكان ذلك قرابة عام ٨٩٧٦/٩٧٥ وقد وصل إليها  
البرتغاليون عام ١٤٩٧ . ويقع بالقرب من مالندي مدينة جيدي القديمة  
( Gedi ) التي تقسم بالأسلوب الفارسي .

والعمد في جيدي ذات قنوات ومنها ماهو مضمن القطاع أو سداسي .  
وبعض ما تبقى من أطلال مالندي يقسم بالطراز الفارسي لا سيما تلك القبور  
وقطعات الخزف التي عثر عليها المنقبون . ويقع قريباً من مالندي - كيليني  
(Kilifi) ذكرها مؤرخو البرتغال كثيراً وتشمل أطلالها الباقية مسجدين ،  
أحدهما اشتهر بجمال هندسته في شرق أفريقيا لا سيما زخارفه المرجانية التي  
تنوسط العقود ( Carued coral bosses ) . وفي جنوب كيليني وعلى  
الشاطئ الممتد إلى منبسة تتناثر أطلال المساجد والقبور القديمة ، وعلى سبيل  
المثال يوجد في متوانا لا جومبي ( mtwana ) ومتواپا ( mtwapa )  
مسجدان خربان وبقيتا بعض الدور .

## مدينة جيدى الزهراء ( Gedi )

نصل إلى مدينة جيدى التى تقع على بعد ٦٥ ميلا شمال منبسة وبها أطلال المدينة القديمة جيدى . وقد كشف العلامة كركمان ( kirkman ) القناع عن تلك المدينة الرائعة .. فبدت مساجدها وقصورها ودورها وسوقها وسورها وأبوابها ... ولا يعرف على وجه الدقة متى تولى أهلها عنها وتركوها للزاهبين ولأشجار الغابة فتخفيها عنا سنين طويلة .. وتضم الأسوار الخارجية قرابة خمسة وخمسين فدانا ، تناثرت فيها فى تخطيط جيد : قصر عظيم وجامع كبير ، وسبعة دور وثلاثة مقابر ذات عمد . وقد كشف معظم مباني المدينة ومنها الجامع الكبير الذى يرجع بناؤه إلى القرن الخامس عشر ثم أعيد بناؤه بعد مائة سنة من تشييده . وهو نموذج مثالى لمهارة الجامع الكبير فى شرق أفريقيا بناء مستطيل الشكل ومحراب فى جداره الشمالى وفيه منبر له ثلاث درجات ويشتمل كل جدار طويل على ثلاثة أبواب . وفى الجانب الغربى غرفة ، وفى شرقه توجد شرفة ، وفى الصحن تقوم الميضاة ، وسقف الجامع مصنوع من التريعات المرجانية التى لصقت بملاط الجير والرمل بعناية . وعلى بعد بضعة مئات من الياردات يوجد القصر بملحقاته التى تفصلها عنه طريق ، ومدخل القصر جميل الهندسة كما أنه يحتوى على عدد كبير من القاعات الفسيحة والمتوسطة ، وفيه بهو صالح للاجتماعات وآخر للاستقبال . ويشتمل أيضاً على عدد من الأفنية ، والمجال لا يتسع لحديث مسهب عن آثار جيدى الإسلامية التى يعود الفضل فى كشفها للعلامة كركمان .

## آثار منبسة ( Monbasa )

نصل إلى منبسة ، والمعروف أن على بن حسن وجماعته هم الذين بنوها فى القرن العاشر . زارها ابن بطوطة ( ١٣٣١ ) فى رحلته الأفريقية ويربط

لما جاءوا بها فوجدوها ميتة فدفنوها في القبر الذي كان لها  
 . ونظروا في قبرها فوجدوا فيها ما لم يكن لها من قبل  
 ربحها . ثم رأوا القبر الذي كان لها فوجدوا فيه ما لم يكن له من قبل  
 . ثم رأوا القبر الذي كان لها فوجدوا فيه ما لم يكن له من قبل .



لما جاءوا بها فوجدوها ميتة فدفنوها في القبر الذي كان لها  
 . ونظروا في قبرها فوجدوا فيها ما لم يكن لها من قبل  
 ربحها . ثم رأوا القبر الذي كان لها فوجدوا فيه ما لم يكن له من قبل  
 . ثم رأوا القبر الذي كان لها فوجدوا فيه ما لم يكن له من قبل .

ثم رأوا القبر الذي كان لها فوجدوا فيه ما لم يكن له من قبل  
 . ثم رأوا القبر الذي كان لها فوجدوا فيه ما لم يكن له من قبل .  
 لم يحقق تاريخ إنشائها بعد  
 ثم رأوا القبر الذي كان لها فوجدوا فيه ما لم يكن له من قبل  
 . ثم رأوا القبر الذي كان لها فوجدوا فيه ما لم يكن له من قبل .

جزيرة منبسة بالمدينة الساحلية جسر طويل وتنسم المدينة اليوم بطرازها العربي وتدخلها المسالك الضيقة وبها المساجد والدور القديمة التي تلقى الضوء على طراز عمارتها منذ ثلاثة قرون وفيها قلعة شيدها البرتغاليون . أمضى ابن بطرطة في منبسة ليلة واحدة ثم ركب البحر قاصداً كلوه في الجنوب .

وعبر مسافة طويلة جنوب منبسة تناثرت الدور العربية الصغيرة ونشاهد أطلال المساجد الصغيرة وبعض المقابر فإذا ما وصلنا إلى مونغى (Muunge) شاهدنا مسجداً صغيراً يعلو محرابه شريط من الزخارف يذكرنا بالشريط الموجرد في محراب تشواكا (Chwaka) في جزيرة پمبا . كما أن هناك عدة مساجد شيد معظمها في القرن الثامن عشر . وعلى بعد قرابة خمسين ميلاً جنوب منبسة فصل إلى فومبا (Vumba) التي كانت دويلة هامة نهضت قرابة عام ١٢٠٤م . ومن سوء الحظ أن المخطوط الفريد الذي احتوى على تاريخها وعنوانه « أخبار قومباكو » تلف في أثناء أحداث عام ١٨٩٥ التي خربتها وكانت أهم مدنها « فومباكو » ، ويمكن اعتبارها من المدن العظيمة ، ويدل على هذا ما خلفته من الأطلال التي تشاهد اليوم في قلب منطقة من الغابات الكثيفة (٣) .

## آثار زنجبار وپمبار وئومباتو

ما زالت المعلومات الأثرية نحن أما كن أثرية كثيرة في جزر زنجبار غير كافية . ونقصد بها تلك التي اتصلت بالعصور الوسطى . حقاً أن هناك بعض الأطلال التي ترجع إلى العصر المعروف بالشيرازى توضح قيام مدن شتى في الجزر الثلاث واشتملت على بعض المباني المشيدة من الحجارة ومنها جوامع كبيرة . ففي بلدة كزيميكازى في جنوب جزيرة زنجبار مسجد قديم من أعجب المباني في شرق أفريقيا وفوق محرابه نقش كوفى نصه :

قَالَ رَأَيْتُكُمْ تَعْبُدُونَ مَا لَا يَحْيِي وَلَا يَمُوتُ (١) وَتَقُولُ زُفَرًا (٢) هَؤُلَاءِ أَمْثَلُكُمْ  
 فِي عِلْمٍ كَمَا يُؤْتِيهِمْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِمْ (٣) هَؤُلَاءِ أَمْثَلُكُمْ فِي عِلْمٍ كَمَا يُؤْتِيهِمْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِمْ (٤)  
 (١) (٧٠/١١٩) (٢) (٧٠/١٢٠) (٣) (٧٠/١٢١) (٤) (٧٠/١٢٢)

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٢)  
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٤)  
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٥) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٦)



(اليمين) قبلة جامع شنغيجو في جزيرة إمبا (القرن ١٥)  
 (اليسار) قبلة الجامع الكبير بشواكا في إمبا (القرن ١٥)

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٢)  
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٤)  
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٥) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٦)  
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٨)  
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٩) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (١٠)

د بأمر الشيخ السيد ابن عمران مقوم ( ملك ) الحسن بن محمد أفعال الله  
حياته المديدة اللهم أفضى على أعدائه . تم بناء هذا المسجد في يوم الأحد من  
شهر ذى القعدة سنة خمس مائة من الهجرة ( الموافق ١١٠٧ م ) (٤) .

وفي تومبانو وهي الجزيرة الصغيرة التي تقع شمال غربي جزيرة زنجبار  
أطلال تحتل مساحات كبيرة وهي تدل على أن المدينة التي شغلت موضعها في  
الأصل كانت أكبر مدن الساحل الشرقي ويعرف هذا الموضع اليوم بإسمين  
هما : كيداني وما كوتاني (٥) . ويشتمل على بقايا أسوار ومساجد وقصر  
وحصن ودور شتى (٦) . وليس بجزيرة بمبا ( الخضراء ) تاريخ خاص بها وهي  
تفخر بمصبوبة أرضها الزراعية وبما احتوته من الدور القديمة . ومن أهم  
آثارها الباقية تلك التي تشاهد أطلالها في رأس مكومبو في غربها ، وفي  
تشيكاك و بوجيني على سواحلها الشرقي ، كما خربت تماماً ما كانت منها باقية  
في كيكوانجومي (٧) . وكان من بينها مسجد متقن البناء اشتمل على ثلاثة  
أروقة ومحراب ذي عقد ، وقد شاهد العالم الآثارى كركان في الجانب الشرقي  
من بمبا مجموعة من المساجد الخربة .

## الآثار الإسلامية في ساحل تنجانيقا

أهم مجموعات الآثار في تنجانيقا موزعة بين ثلاث محافظات : نانجا شمالا ،  
وتنجانيقا الشرقية ، فالجنوبية . وأهم المواقع الأثرية في الشمال تونجوني (٨)  
مركز الامارة القديمة « منانجانا » وتشتمل الأطلال هنا على مسجد ومجموعة  
من المقابر ذات الأعمدة التي يرجع تاريخها إلى القرنين ١٤ و ١٥ وليس قبل  
ذلك ، والمسجد فسيح وحيد البناء . وإلى جنوب تونجوني تقع ندومي (٩) .  
داخل سور ، وإلى جنوبها مانجاتي (١٠) ويلبها كيونجاتي . ويقابلنا في المحافظة  
الشرقية ( الوسطى ) كاؤلي حيث نجد مسجدين ومجموعة من المقابر





التقليدية وبعض الدور المخربة ، ولأحد المسجدين وهو الأكبر محراب بسيط دون زخارف وفيه غرفتان ومبضأة . أما المسجد الآخر فإنه أصغر من الأول وفي بندريني<sup>(١١)</sup> وما كونيحو حوجو<sup>(١٢)</sup> . مسجدان صغيران ، ولثانیهما باب نموذج في الرشاقة الزخرفية . وفي مساساني<sup>(١٣)</sup> عدة مقابر . ثم يقابلنا مسجداً في مبوماجي<sup>(١٤)</sup> . ونجد على مدخله نقشاً تاريخياً يرجع إلى عام ١٠١٧هـ (٩/١٦٠٨) ربما كان لمسجد أقدم . وفي الطرف الجنوبي لمحافظة الجنوب ومقابل نهر روفيجي مجموعة جزر مافيا وقد عثر فيها على مجموعة ظريفة من عملة كلوا . وقد أثمرت التنقيبات التي أجريت في كبسياني مافيا عام ١٩٥٧ عن مسجد له طوابق شتى يرجع تاريخه إلى ما بين نهاية القرن الثالث عشر ونهاية الرابع عشر . وفي جزيرة جواني بأرخبيل مافيا ، نجد موقع كوا<sup>(١٥)</sup> الفسح وفيه بقايا قصر وخمسة مساجد وبعض الدور ، ولم يصف أحد آثار هذا الموقع وصفاً علمياً من قبل . نشاهد جامع الجمعة وله محراب مزخرف وجيل وقريب الشبه للمسجد النبواني القائم في جزيرة سونجو منارة ، ويبدو أنه رُمم مرات شتى . وبالقرب منه مسجد ضيق له محراب يشبه المحراب الأول وربما ينسب إما إلى القرن ١٤ أو ١٥ . ومن الصعب إعطاء رأى صحيح عن المساجد الأخرى لحالتها السيئة . أما القصر فما زالت بعض أجوائه سليمة وهو لا يشبه القصور الأخرى القائمة في جيدي وبيت وكوه أو في سونجو منارة<sup>(١٦)</sup> .

وعلى بعد أميال قليلة جنوب نهر روفيجي حدود المحافظة الجنوبية حيث تنهض بقايا مدينة كلوا العظيمة التي كانت حتى القرن السادس عشر خير تعبير للحضارة الإسلامية التي سادت هذا الساحل الشرقي . وأرخبيل كلوا يحتوى على جزر كلوا - سونجو منارة وسانجي يا كاني ويرجع تأسيس كلوا إما إلى القرن العاشر أو إلى القرن الثاني عشر في رأى آخر حينما وصل الزعيم

نعم وأما في ما يخص الموانئ فلهذا الموانئ ليست كلها من نوع واحد بل  
 فهناك من نوع واحد وهو الذي يسمى بالمرسى أو المرسى الصغير  
 (٧٧) وهو الذي يسمونه بالمرسى الصغير وهو الذي يسمونه بالمرسى الصغير

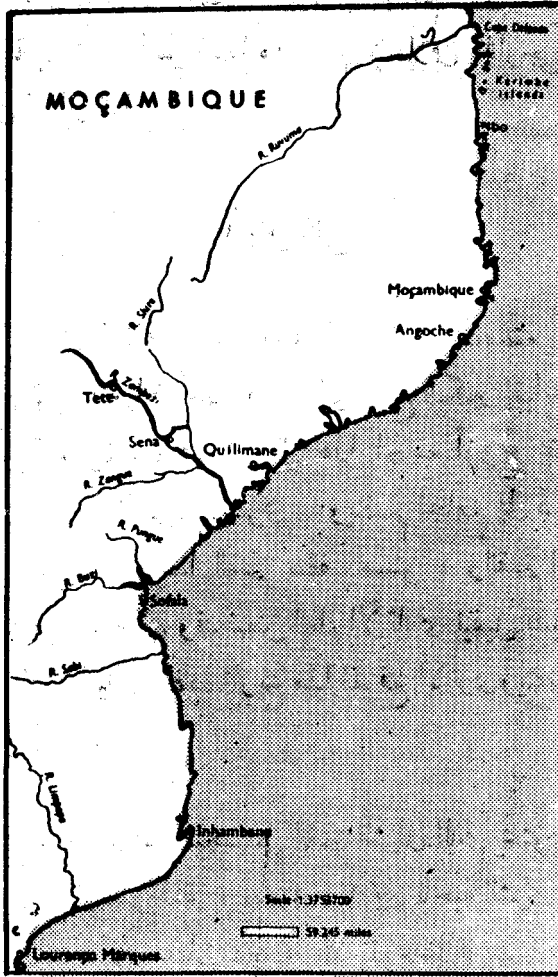


مدن و ثغور الساحل التانجانيقي

على بن سليمان بن أحد سلاطين شيراز إليها قادماً من الخليج العربي أو أحد المنازل الإسلامية على الشاطئ الأفريقي ويعتبر أول سلاطين كلوا من الجماعة الشيرازية ، كما تؤيد قطع العملة التي عثر عليها هناك في كلوا (١٧) .

تفخر كلوا بعصرها الذهبي الذي امتد ما بين القرن الثالث عشر والرابع عشر حينما كانت المدينة عروس الشاطئ الأفريقي ، ولما كانت تجارتها الزاهرة في حاجة إلى سك النقود ، فقد لجأ سلطان كلوا إلى سك عملة خاصة ضربها من النحاس ، وما زالت تشاهد إلى اليوم في متاحف علم النميات . وقد عثر في كلوا ومافيا وزنجبار على قرابة ١٠٠٠٠ قطعة عملة نحاسية منها . قال ابن بطوطة عن كلوا حينما زارها عام ١٣٣٢ ، أنها مدينة عظيمة ساحلية ، ومن أحسن المدن وأتقنها عمارة ، كلها بالخشب والأمطار بها كثيرة ، وهم أهل جهاد لأنهم في بر واحد متصل مع كفار الزنوج ، والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب . والجدير بالذكر أن (جبالان، الضابط الفرنسي البحري (النصف الأول من القرن ١٩) كان أول من لفت الأنظار إلى تاريخ كلوه الذي دونه دي باروس في كتابه (١٨) بالبرتغالية .

وبالرغم عن اختلاف المراجع التاريخية عن بداية تاريخ أول سلاطين كلوه فيمكن القول أنه بفضل التنقيبات الأثرية الأخيرة ، ونتيجة لفحص قطع العملة الخاصة بكلوا ، فقد اتضح أن منتصف القرن الثاني عشر يمكن اعتباره تاريخاً صحيحاً لتأيد كلوا ، وأن أول سلطان عظيم لها هو سليمان حسن بن داود الذي حكم كلوا وبميا في منتصف القرن الثالث عشر . وكانت خاتمة كلوا في ٢٣ يولييه عام ١٥٠٥ حينما وطأت أقدام جنود فرانسيسكو ألميدا بر كلوا وفر السلطان من قصره بالمدينة ومن ثم استولى عليها البرتغاليون ونهبوها ثم شيدوا حصناً بالقرب من الميناء .



مدن ساحل موزمبيق

وآثار كلوه الهامة عبارة عن مبان عامة تتألف من ثلاثة حصون هي :  
حصون كبوا<sup>(١٩)</sup> وحصون ندوجو<sup>(٢٠)</sup> وجزيرة<sup>(٢١)</sup> والجامع الكبير ،  
والمسجد ذى القبة ، ومسجد مالندى والمسجد القائم من السور . وليس في  
هذا الموقع الاثرى قبور ذات عمد ، وهذا يدعم رأى القائلين بأن هذا  
النوع من المقابر محلى وليس قادماً من العالم الإسلامى الخارجى ولكن هناك  
بمجموعتين من المقابر العادية .

## آثار كلوه

بدأ التنقيب فى كلوا فى عام ١٩٥٨ فقط وهو ما زال مستمراً ، وانضح إلى  
الآن أن أقدم أثرين أهمهما هي حصون كبوا والجامع الكبير بقبابه الثمانية عشرة  
وبأقبانها الثمانية عشرة ، وجميعها تجعل هذا الجامع أروع مخلفات الآثار  
الإسلامية فى الساحل الأفريقى الشرقى . وينقسم الجامع إلى قسمين : القسم  
الشمالى وفيه المحراب ، ولهذا القسم سقف مستو ، والقسم الجنوبى بقبابه  
الصغيرة وأقبانه المستديرة . وقد نهض العالم الآثارى نيفيل تشينك بالتنقيب  
فيه ويرجع الفضل إليه فى إعادة تاريخ هذا الموقع الأثرى ويتفق العالم كركان  
معه فيما وصل إليه .

ويشتمل أقدم أجزاء المسجد على القسم الشمالى الذى يحتوى على الميضاة  
فى ناحية الغرب ، والممر المقبى ( Vaulted ) فى ناحية الشرق . ويحتمل أن  
هذا الجزء من المسجد كان مغطى بسقف مستد يقوم على أعمدة خشبية ويرجع  
تاريخ هذا الجزء فى الغالب إلى القرن الثانى عشر ، وفيما بعد وضعت الجدران  
الشرقية والغربية فى المسجد القديم ، ثم امتد ناحية الجنوب وذلك بإقامة عمد  
مؤلفة من قطعة واحدة ، فتألفت الأروقة حول الصحن وغالباً ما كان هذا  
شكل الجامع فى أيام سليمان بن حسن أعظم سلاطين كلوا ، وقد اشتهر بأنه

كان يهيم بالبناء . ثم أضيف أخيراً البناء ذو القبة القائم بالجنوب الشرقي وكان يتعبد فيه السلطان المظفر حسن ، الذى التقى ، الرحالة ابن بطوطة وقد تدهور الجامع فى بداية القرن الرابع عشر حتى أعيد بناؤه فى أيام سليمان بن محمد ( ١٤٢١ - ١٤٤٤ ) . وفى هذه المرة بنى سقف جديد فوق الجزء الشمالى وأعيد بناء القسم الجنوبى وذلك بإضافة القباب والممرات المقبأة وكانت تحملها الأعمدة المثمنة الأضلاع ، وهكذا كان شكل الجامع كما رآه البرتغاليون وشاهده هانز ماير ، الألمانى وقال عنه أنه يشبه جامع قرطبة الكبير . وكان يتصل القسم الجنوبى للمسجد بالقسم الشمالى بواسطة رواق فى الشرق ورواقين فى الغرب وهناك على مسافة صغيرة غرب الجامع توجد بئر ماء فى غرفة ذات قيو يعلو حوالى تسعة أقدام ، وربما أخذ المسجد فى التدهور للمرة الأخيرة أثناء القرن السادس عشر . وعلى مسافة قليلة غرب الجامع الكبير ، يقوم مسجد ذو قبة وله تسعة أروقة ، ويشتمل على قاعة عند كل من جانبيه الشرقى والجنوبى ، وله حوض للغسيل فى الركن الغربى ، وأجزاء السقف متنوعة البناء ففيه القباب والقبوات ... الخ وكان المحراب وقبوتان وقبة المجاز الأوسط يعلوها الطلاب الفخارى الأزرق وربما يرجع بناء هذا المسجد إلى القرن الخامس عشر .

يقع إلى غرب المسجدين - القصر وهو مؤلف من طابقين وله عدة أبواب تفتح على الفناء الكبير . ويقع فى جزئه الغربى المقر السلطانى وفى الجانب الشمالى والجنوبى مجموعتان من الغرف . وفى الركن الجنوبى الغربى مربع مستطيل الشكل وتصل به أسوار أخرى ذات شرفات . وقد شيدت أجزاء القصر فى فترات متعاقبة . ومع ذلك فإن أقدمها لا تتجاوز القرن الثامن عشر .

وفى الجانب الآخر من مدينة كلوه عند البحر ناحية تقوم القلعة (جرينة)

وهى مشيدة على جرف من المرجان يبرز في البحر وقد شيدت القلعة فوق الموقع الذى كانت تشغله قلعة سنتياجو البرتغالية فى أخريات القرن الثامن عشر . وهنا كانت مدينة كلوا القديمة . وما نبقى منها اليوم هو مسجد مالندى والمقابر المجاورة ومحراب هذا المسجد يرجع إلى القرن ١٨ ولكن المسجد يعود إلى القرن الخامس عشر .

وعلى مسافة قرابة ميل يقع مبنيان هما حصون كبوه وحصون ندوجو ، ويعتبران من أروع مباني الساحل الشرقى وأطرفها . وتقوم مصلحة آثار تنجانيقا منذ عام ١٩٦١ بالتنقيب فيها تحت إشراف المعهد البريطانى للتاريخ والآثار والأستاذ نيفل تشينيك ، ولم يصدر بعد التقرير الختامى عن أعمال التنقيب .

تقوم حصون كبوا على شرف عال يرتفع قرابة خمسين قدماً فوق سطح البحر ويحمى هذا الموقع ثلاثة منحدرات من حوله وتغطى مساحة فدان تقريباً . وقد عثر فيها على أجزاء من كتابات منقوشة يقرأ عليها اسم الملك المنصور حسن بن سليمان الذى استضاف ابن بطوطة . ويرجع تشييد بناء حصون كبوا إلى قرابة عام ١٣٠٠ أو نهاية القرن الثالث عشر .

أما حصون ندوجو فتقع شرق حصون كبوا وهى عبارة عن بناء مستطيل الشكل تتخلله الأبراج فى جميع الأجناب ولا توجد الآن مباني قائمة داخل الحصون أو بقايا مباني يحتمل أن تكون على شئ من الأهمية وربما كان هناك فى ذات يوم مسجد مكشوف .

وفى داخل الخليج الذى تقع فيه جزيرة كلوا توجد جزيرة أخرى اسمها سونجو منارة أو سونجو رونجاو فيها أطلال قصر كبير وبعض الدور الكبيرة وجميعها ترجع إما إلى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر . بالقرب من القصر



لمجد مسجداً صغيراً له قبلة ذات حنية مضلعة (fluted) ، كما أن هناك مسجداً يعرف بالمسجد النباني ، من المحتمل أنه شيد بعد غزو د بيت ، لكلوا في القرن ١٤ ، وقد شاهده الرحالة برتون (Burton) حينما زاره وشاهد قبلته وكانت مغطاة بالخزف الأزرق المطلي بالمينا. وقد اختفى هذا الخزف الآن . ولم يبق بعد أحد بالتنقيب علنياً في سونجو منارة ولكن عثر على بقايا كثيرة من الخزف المهشم الصيني .

وفي البر الأفريقي شمال بلدة كلوا ، يقابلنا موقع متيميرا (Mtitmira) جنوب كلوكيفنجي ، وفي ذلك الموقع مسجد صغير وإلى الجنوب من كلوا بعض الأطلال التي قد تنسب إلى القرن التاسع عشر ، ولعل أهمها موقع مجاو مو انجا (٢٢) الذي يشتمل على عقد ذي أضلاع كثيرة وفي داخل محراب المسجد ويعرف الموقع باسم مونجالو (٢٣) ويرجع إلى آخر القرن الثامن عشر أو بداية القرن التاسع عشر وكانت مركزاً تجارياً .

### التأثيرات المعمارية الآسيوية :

نعلم جيداً عن الصلات التجارية بين البلاد العربية والخليج العربي — الفارسي والهند والصين من ناحية ، وبين مدن ساحل شرق أفريقيا من ناحية أخرى ، ولكن ماذا عن الصلات المعمارية ؟ إذا سلطنا بأن بعض هذه المدن كان فيها مقيمون من العرب وبعضها مقيمون من أهل شيراز الفرس وأنهم لم يكونوا مستعمرين بالمعنى المعروف الآن . ولكن المسلم به كانوا في جميع الأحوال مسلمين وكانت لغتهم الرسمية المكتوبة هي اللغة العربية (٢٤) ثم شاركتها اللغة السواحلية التي اقتبست الكثير من العربية والفارسية والهندية ، وأخيراً الألمانية والانجليزية والبرتغالية .

ذكرنا أن التنقيبات الأثرية في كلوه أخذت تجلو بعض الحقائق المعمارية وأهم ملاحظه العلم . جيرفيس ، أن مباني كلوا خالية من التأثيرات

الأفريقية<sup>(٢٥)</sup> وأن عمارتها ترتبط بطراز ينسب إلى أكثر من بلد في العصر الإسلامي المبكر، وأن الحاكم الذي شيد القصر في كلوا لا بد أنه كان على ثراء موفور، فاستطاع جلب الصناع والفنانين المهرة من العراق أو مصر، وعلى ذلك يقول جيرفيس أن بناء القصر كان نتيجة الثروة الجديدة التي تدفقت على كلوا بعد عام ١١٧٠م بعدما اشرفت على تجارة الذهب إلى بلاد الشمال من الساحل. ولكن قد يرد على هذا الرأي بأن النقش للكتابي الذي ذكرناه وعليه اسم الحسن بن سليمان الذي حكم كلوا فيما بين (١٠٠٥ - ١٠٤٢)، فإذا صح هذا، كانت كلوا عاصمة دولة عظمى لمدة قرن قبل أن أصبحت تشرف على الطريق التجارية التي تبدأ من سفالة جنوب كلوا.

والآن لنفحص الأصول المعمارية لكل من حصون كبوا وحصون ندوجو. وقبل كل شيء فإننا نلاحظ أن حصون ندوجو تختلف في عمارتها عن عمارة أى مبنى في الساحل الشرقي جميعه. فأسوارها الخارجية تشبه كثيرا تلك الأسوار التي أقيمت في المباني التي شيدت في البلدان العربية تحت حكم الخلفاء الأمويين (٦٦١ - ٧٥٠م) وأوائل حكم العباسيين ومنها على سبيل المثال قصر المشنى في الأردن، وجامع الرقا الكبير (القرن ٨ م) بالرغم أن عمارة حصون ندوجو في مستوا أقل نسييا. وبينما نلاحظ أن حصون ندوجو من بعض النواحي ليست غريبة عن أسلوب المباني الأخرى التي نسب إلى العصور الوسطى في الساحل الشرقي، فإن لها أيضا بعض الخصائص التي لانجمه شبيها لها. فمثلا حوض السباحة الموجود في حصون كبوا يشبه من ناحية تخطيطه ذلك الحوض الموجود في صحن جامع حران الكبير الذي نقب عنه عالم الآثار البريطاني رايس، كذلك الممشى أو الإضافة التي حول الحوض المذكور يمكن أن نقابلها بالممشى الموجود في ضريح قبة الصليبية في سامراء التي يرجع تاريخها إلى القرن التاسع، وإحدى القباب الموجودة في حصون

كجوا طرازها غير عادى ، فأضلاعها الداخلية وحافاتهما المستديرة فى الخارج تشبه تلك التى على قبة جامع القيروان الكبير الأموى الأصل . وهكذا نلاحظ تأثيراً معمارياً أمورياً وعباسياً على عمارة كلوا . والجدير بالذكر أنه وصلت هجرات متتالية من البلدان العربية فى القرنين الثامن والتاسع حينما كان كان يحكمها الأمويون ثم العباسيون وليس بخاف أنه لا يوجد شبيه لهذا الطراز المعمارى فى أى من مدن الخليج ، فعمارة مسجد سوق الخميس مثلاً فى جزيرة البحرين ، والمسجد المحرب الموجود فى أطلال سيراف وما تبقى من المباني التى لاتزال تشاهد فى هرمز - جميعها ليس فيها ما يشبه مباني تلك المدن الساحلية من حيث أسلوب عمارتها .

ومع ذلك فإن حصون ندوجو ، مع أنها ليست مرتبطة معمارياً بأى من المباني التى شيدت فى العصور التالية على الساحل ، فإننا نلاحظ كثيراً من خصائص حصون كجوا استخدمت فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر وقد ذكر منها الكثير فى التقرير السنوى الذى أصدرته مصلحة الآثار فى تنجانيقا رقم ٦ عام ١٩٦٠ ( مجلة التاريخ الأفريقى ، مجلد ٤ ، جزء ٢ عام ١٩٦٣ ض ١٩٠ ) .

## التأثيرات الثقافية العربية

ولنتكلم بإيجاز عن التأثيرات الثقافية العربية فى هذا الساحل ، فنقول :

١ - تطورت أحوال أهالى الساحل الشرقى بعد أن أخذ العرب المقيمون هناك بأيديهم فى مسالك الحضارة الإسلامية ، وأضفى الإسلام على حياة الذين اعتنقوه طابعاً اجتماعياً وحضارياً بعد أن استعربوا ، وكان الزواج المستمر سبباً فى ظهور جماعات كثيرة خلطت دماؤهم العربية بالدماء الزنجية ويمثل هذا الامتزاج الجنسى السواحليون .

٢ - اختلطت اللغة العربية والفارسية بلهجات قبائل الباتو ، فتولدت اللغة السواحلية التي اشتملت على عدد كبير من الألفاظ العربية وأصبحت تكتب بالحروف العربية ، ويتكلم هذه اللغة اليوم قرابة خمسين مليوناً .

٣ - كان من تأثير إزدهار التجارة بين بلدان غرب آسيا والساحل ، أن عم الرخاء سكان تلك المناطق الساحلية ، فارتفعت مستويات حياتهم . وليس يخاف أن العرب بذلوا جهوداً طيبة في إدخال الزراعة وتطويعها وتوسيع الرقعة الزراعية وإدخال زراعة الغلات وقصب السكر . وفضلاً عن ذلك أدخل الهنود كثيراً من الحرف والصناعات كالحلى وصناعة التعدين والحياكة وغيرها .

وهكذا نرى أن دين أفريقيا الشرقية لبلدان غرب آسيا دين حضارى عظيم يشمل الكثير من مجالات الفكر والعلم والعمران ...

## المراجع

(١) عصام عيسى غيدان بن يروى : العرب في بلد السواحل الأفريقية — مجلة العربى — عدد ١٦٨ بتاريخ نوفمبر ١٩٧٢ ، ص ١٦٤ - ١٧٢ .

(٢) عثر الأستاذ ( هيتشينز ) على كتاب ألفه شبيب فرج بن أحمد الباقورى عنوانه ( أخبار لامو ) ، عرض فيه لتاريخ لامو والهجرات الأولى التى تدفقت إليها فذكر أن الهجرة الأولى كانت فريقاً من أهل الشام لم يرضوا عن سياسة الحجاج بن يوسف فرحلوا الى أفريقيا وأخضع هؤلاء السكان الأصليين وفى عقب هذه الهجرة جاءت جماعة من أهل عمان كان منهم سليمان وسعيد من أبناء عباد الملندى وكانوا أعلنوا الثورة فى وجه الخليفة عبد الملك بن مروان ولما غلبوا على أمرهم فروا الى شرق أفريقيا ولما وصل سعيد اعترف له المهاجرون السابقون بزعامته عليهم . فرسم لهم أن تقسم لامو الى أحياء صغيرة لكل منهم شيخها وشيوخ الأحياء كلهم يؤلفون مجلس للشورى ، فكانت امارة لامو هذه أقدم الإمارات الإسلامية ظهوراً فى ساحل شرق أفريقيا .

Hitchens : Islam in East Africa, p. 110. in Islam To-day.

Hollingworth, L.W. : A. Short history of the East (٣)  
Coast of Africa, p. 52

Flury, S. : The Kufic Inscriptions of the Kisim Kazi (٤)  
mosque J. R. Asiatic Society, 1922:

Kidarini, Makutani. (٥)

Prins, A. H. J. The Swahili-Speaking Peoples of (٦)  
Zanzibar and The East African Coast. Inter. Afr. Inst. p. 37.

Intiawa Ingombe. (٧)

Tongoni. (٨)

Indumi. (٩)

Pangani (١٠)

Banderini. (١١)

Makungo Dogo. (١٢)

Masasani. (١٣)

Moboamaji, (١٤)

- Kua , (15)
- Songo Mnara. (16)
- Barros, J. de : Decadas - da Asia, ed. A. Bajao, (17)  
Coimbra, 1930.
- Chittick, N. : The Shirazi Colonization of East (18)  
Africa. J. African History, vol VI, 3, ( 1965 ), pp.  
275 — 294.
- Husuni Kubwa. (19)
- Husuni Indogo. (20)
- Gereza. (21)
- Ingao Inwango (22)
- Mongallou . (23)
- History of East Africa, vol. I, p. 116. (24)
- There is no trace within it of any African (25)  
influence,